

سيمياء النسق السردي للكتاب الروائي - الصخرة للصادق بن طاهر فاروق

أنموذج

The semiotics of the narrative system of the novelist discourse - the rock by Al-Sadiq bin Taher Farouk as a model

د. سعاد حاج سعيد^{1*}

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)،

zaouisouad2021@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/03/28

تاريخ القبول: 2022/03/14

تاريخ الإرسال: 2021/12/23

ملخص: الرواية التاريخية جدلية ما بين الأدب والتاريخ، يسعى الأدب إلى استحضار التاريخ لجعل منه سنداً، ويأتي المنهج السيميائي كإجراء تحليلي لفك شفرات هذا الإبداع، أما رواية الصخرة الأسيرة فهي حكاية تحولت إلى ما يشبه الأسطورة عن صخرة سقطت على رأس ضابط فرنسي عام 1852 وقتلته فقامت الإدارة الاستعمارية رغبة منها في تخويف الأهالي بأسر الصخرة ذاتها بأغلال وإطلاق الرصاص عليها وظلت تكرر الفعل نفسه بشكل عبثي كل عام في ذكرى وفاة الضابط نفسه لينتهي الأمر بعد أكثر من قرن باستقلال الجزائر، لتبقى الصخرة ثابتة في مكانها شاهدة على أسطورة لم ترو كاملة وضحية لحكايات شفوية يتقاطع فيها الواقع مع المتخيل. الكلمات المفتاحية: الرواية؛ التاريخ؛ الاستعمار؛ السيمياء؛

ABSTRACT: The historical novel is dialectical between literature and history the aim of literature is to bring and prove it, the semiotic method comes as an analytic procedure to decode this deposit **Keywords:** novel-; history; literature; semiotic;

إذا كانت القطيعة المعرفية النقدية مستبعدة مع التراث باعتباره أرضية خصبة للتداول، فإنه من الصعوبة رسم ملامح خطاب نقدي حداثي خارج خلفية ايبستمولوجية تؤطره وكون أن كل خطاب يصدر عن رؤية إما صريحة أو ضمنية، وفي ظل هذا المفهوم غدا البحث السيميائي الجزائري فضاء رحبا واسعا، حيث أنه راح يفيد من حقول معرفية تارة ويتقاطع مع اختصاصات معرفية تارة أخرى، الأمر الذي أنتج اصطناع مناهج مركبة تستعير أدوات بعضها البعض دون الانحياز لمنهج على حساب آخر.

فوجب على الناقد أثناء العملية التحليلية للنص الأدبي أن يكون فطنا في التعامل مع النص وذلك يتطلب وعيا نقدياً قائماً على إدراك الفوارق بين الأوضاع وأن فكرة تركيب المناهج تبلورت مع "بارت" الذي ساهم في تطوير منهج الشكلايين الروس نحو البنيوية وساهم بإيصالها إلى ما يعرف باسم "ما بعد البنيوية". وعن ذلك يذهب عبد المالك مرتاض في القول عن إشكالية الانسياق "ننساك نحو مدرسة منهجية واحدة

نتعصّب لها ونتعصّب على المدارس الأخرى لننغلق على أنفسنا داخل إيديولوجيا مهما تكن معقّدة ومتطوّرة فهي مغالطة ساذجة بحكم طبيعتها ، مكابرة بحكم هدفها نتعصّب بحكم رؤيتها الأحادية إلى الأشياء والأحياء"¹ وفي خضمّ الحماسة المتزايدة لتبني السيميائية في الممارسة النقدية الجزائرية راح كثير من النقاد الجزائريين في مقارباتهم النقدية يستندون إلى آراء النقاد الغربيين قصد إضفاء وتحليل النص الأدبي أمثال "بارت" وغريماس، وتودوروف، وجوليا كريستفا وغيرهم ممّن أثروا بشكل مباشر أو غير مباشر على الخطاب النقدي العربي بصفة عامّة والخطاب النقدي الجزائري بصفة خاصّة .

وعن ذلك يقول الناقد عبد الله الغدّامي "أحترت أمام نفسي وأمام موضوعي ورحت أبحث عن نموذج أستظلّ به محتما بهذا الظلّ عن وهج اللّوم المصطرع في نفسي ، كي لا أجتّر أعشاب الأمل وما زلت في ذلك المصطرع حتّى وجدت منفذا فتح إليّ مسالكه فوجدت منهجي ووجدت نفسي". وهو يعتبر النصوص شوارد وأنّ كلّ نصّ شاردة على حدّ قول أبو الطيّب المتنبي.² ولعلّ النقص المعرفي في النقد الجزائري الحديث والمعاصر استدعى ضرورة الإنفتاح على الخطاب الغربيّ الحديث قصد الإفادة في حقوله العلمية الرائدة ، فاستلهم النقاد نظرية غريماس التي حاولت استيعاب النموذج التحليلي البروبي ضمن تطوّر نظري جديد للسرد من خلال البحث في البنى السردية وتمفصلاتها الدلالية في الأدب القديم وفي القصّة القصيرة والرواية والأدب الشعبيّ والشعر، ومن الذين بذلوا جهدا في هذا المجال: رشيد بن مالك ، عبد الحميد بورايو ، عبد المالك مرتاض ، وأمنة بلعلى وغيرهم...

أمّا عن الإشكالية التي طرحها في هذا المقال تمثّلت في: مقارنة سيميائية للخطاب الروائي المتمثّل في رواية الصّخرة الأسيرة للروائيّ الواعد صادق بن طاهر فاروق؛ محاولة فكّ شفراتها من جهة ارتباطها بفترة تاريخية تغافلها المؤرّخ؛ وأبدع في تصويرها واستحضارها الأديب، متدرّجة في ذلك عبر عناصر منها علاقة الأدب بالتاريخ ، سيميائية العنوان باعتباره أوّل عتبة يخطوها القارئ نحو النصّ فهو بوابة العبور التي تمنح قارئها فتنة كشف أغوار الكتاب، فالعنوان يحاول مقارنة المكتوب من مختلف مكوّناته البنائية ، كما أشارت إلى المسار السردى الذي اعتمده الروائيّ في بناء الحدث وفق برنامج حدّده التعبير السيميائي وختمت بالتمثيل لبعض مقاطع الرواية من أجل تسليط الضّوء على الأجزاء المتحرّكة والأشياء المادية وتقديمها في صور إيحائية معبّرة.

الرواية التاريخية في الجزائر:

سيطرت الرواية كجنس أدبيّ معاصر على الخطاب الأدبيّ حتّى تمثّلت " بديوان العرب " نظرا لما تقدّمه من أحداث واتّجاهات وقضايا راهنة وهي في تطوّر مستمرّ منذ السبعينات وقد عبّر الكتّاب الجزائريون عن

مضامين شهادتها الجزائر منذ أولى الثَّورات الشَّعبية ومن بين الأنواع الرَّوائية الَّتِي تستلهم التَّاريخ والَّتِي كتبت في التسعينيات وما بعد رائعة واسيني الأعرج " الأُمير " وروائع الكاتب عبد الوهَّاب عيساوي ومنها " الدَّيوان الإسبطري " طير اللَّيل " عمارة لخص " وغيرها ثمَّ رائعة صادق بن طاهر فاروق ، الصَّخرة الأسيرة .

إنَّ الذَّهاب بالرَّواية إلى التَّاريخ يجعلنا نستحضر آليات إنتاج النَّص الرَّوائيِّ ضمن خطاب التَّاريخ الموظَّف عبر تشكيلات سردية مختلفة تقرأ الماضي بشيء من التَّميَّز والتَّفرد بغية إعادة إنتاجه مجدداً فالرَّوائيُّ يرسم الوجود أثناء اكتشافه لإمكانات غير معروفة تعكس أعماق العالم الإنساني .³

وإزاء عمق هاته المرجعية النَّظرية يجب فهم حقيقة الرَّواية التَّاريخية كنمط وتشكيل روائيٍّ له خصوصياته ومرجعياته الخاصَّة لأنَّ هذا النَّوع من الرَّواية هو الإطار المعرفي الوحيد الَّذِي تظهر فيه أهميَّة الزَّمان والمكان بشكل جليٍّ وعميق فالرَّوائيُّ يعيش تجربة الزَّمن من حيث هو وعاء وجودي ويفصح عن الرُّؤية التَّاريخية للكاتب وعن رؤيته للإنسان.

وإن كان توظيف التَّاريخ يعتمد على مدى وعي المثقَّف لتاريخ أمَّته وعلى وعيه بدوره التاريخي ، فهل استطاع الرَّوائيُّ المبدع في استلهامه للتَّاريخ أن يعي معطيات العناصر التَّاريخية المستلهمة في المنتج الإبداعي الجديد لأنَّ مثل هذا الوعي العميق هو الَّذِي يمنح العمل الإبداعي قوَّته الدَّلالية والفنية.⁴ الكتابة عن حقبة الاستعمار الفرنسي بالجزائر لم تنته والأدب ينوب عن التاريخ في محاولات فهم فصول ممَّا حدث، وقد تعدَّد الوقائع في هذا التاريخ الَّذِي تضاربت حوله الرِّوايات لكنها تتحد في إبراز عامل التضحية الَّذِي أشتهر به الجزائري وخوفا من ضياع هذا الإرث -نظرا إلى تداخل المدونة بالشفوية- حرصت العديد من الأعمال الأدبية على استحضار حكايات حدثت وقائعها في أعمال جادة لتنقيتها من الشوائب واستجلاء الحقائق.

تلخيص الرَّواية:

تنطلق الرَّواية من خمسينات القرن الماضي مع شخصيَّة جون الَّذِي يعمل في مغارة لا سكو جنوب غرب فرنسا والَّتِي اكتشفت سنة 1940 ، يكتشف جون مذكَّرات جدِّه ميشال الضَّابط، جون مناضل شيوعي ينتمي إلى الحركات الشيوعية لينتقل من مناضل إلى جندي .

وقد جاء في بداية مذكرة الجدِّ "أنا الضابط الفرنسي ميشال أكتب في هذا الحجر القديم الواقع في الجهة الشمالية لمدينة الجلفة، أريد أن أدوِّن من هذه اللَّحظة الَّتِي سأبدأ فيها العمل هنا وسأكتب عن هؤلاء البربر الَّذين لم أفهمهم منذ ولوجي هذه المدينة، قدمت هنا برفقة المئات من الجنود لتعمير هذا القفر البعيد.

ثم وقعت عينه على جريدة قديمة ليقرأ: "صخرة تقتل الضابط الفرنسي ميشال بمدينة الجلفة" على إثر ذلك سافر الى الجزائر ليكتشف أن أمه واحدة من الأهالي وكان اسمها مريم. ليجد سببا لانخراطه مع الثورة الجزائرية، ضد وطنه الأصلي. ويكتب: "من أجل استغاثات أولئك الرجال الذين دفنوا أحياء، والصخرة التي أسروها بالأغلال وأطلقوا عليها النار من أجل كرامة الفرنسيين الأحرار قاتلت ضد الظلم والعنصرية دون أن أراعي أي انتماء.

فيجعل الروائي من الصخرة بطلا استثنائيا ويخلق شخصيات من حولها ويستعيد جزءا مهما من تاريخ الثورات الشعبية في الجزائر. ويستحضر فرنسيين منسيين يشبهون شخصية جون، شاركوا في الحرب إلى جانب الجزائريين، إن رواية تيار الوعي لا تعتمد على الزمن بمفهومه الخاص حيث تجتمع لحظات سابقة ماضية وآنية وقادمة في نسق واحد ، طالما أن ذهن الشخصية هو المحرك لحركة المعنى وذلك من خلال انعطافه إلى الماضي وإلى المستقبل و متجذّر في لحظة آنية فالزمن يعكس إيقاع النفس الداخلي وليس الإيقاع البيولوجي الداخلي .

كلّ إبداع لا بدّ أن يحدّد لنفسه غاية قصوى ليست للمتعة فقط بل لتحقيق الإفادة بطرح القضايا الكبرى في صورة جمالية فما الذي تطرحه رواية الصخرة الأسيرة؟

وما هي العمليات التي تنطلق منها السيمياء لاستجلاء الخطاب السردى دواله ومدلولاته؟

وقد حصرت مقالي لقراءة هذا المنجز الروائي لتحقيق مكسبين أولهما أدبي والثاني نقدي.

أما الأدبي: فيتّمل في الغوص في عجائبية البنية السردية وأسلوب الطرح الذي اعتمده المؤلف في رصده لأحداث تاريخية قيمة كانت ستظلّ مدفونة، فعمل من الأدب وسيلة وسندا بديلا عن التاريخ نفسه.

الغاية الثّانية: مقارنة المدوّنة لتهتمّ بمجموع العلامات التي تنسج فيما بينها شبكة من العلاقات حتّى تضطلع بتأدية وظائف متميّزة بين المرسل والمرسل إليه.

سيمياء العنوان:

أضحى العنوان مفتاحا أساسيا وشفرة جوهريّة تحفّز القارئ للولوج إلى أغوار النص ، العنوان لا يوضع اعتباطيا على الغلاف بل يعطينا مجموعة من المعاني والدلالات تساعد على فكّ شفرات رموز النص ، فهو أشبه ما يكون بطاقة هويّة، لذلك ينبغي على الكاتب أن يوفّق في اختيار العنوان بإسناده إلى خلفيات النص.

ورد العنوان (الصَّخرة المنسيّة) بصيغة جملة اسميّة معرّفة مركّبة من مُسند ومُسند إليه لتكتمل الدّلالة. فقد تفيد تعيين المضمون وتحديدّه بخصوصيّاته المميّزة وهي من الوظائف الأساسيّة التي يسعى المؤلّف إلى تحقيقها للدّلالة كواجهة مباشرة بين الباث والمتلقّي ، وشعريّة العنوان تقيم مسافة بين التّركيب التّحوي ودلائله التي تشغل مواضعه ، الصَّخرة أصوات صاخبة مستعلية فيها قوّة وتأثير وهي مسافة تتيح للدّوال أن تتلاقى في علاقاتها الإيحائيّة ، وتسمح للتّركيب التّحويّ أحيانا أن يلعب دور الدّال اللّغويّ بشكل ينفي سلطته عن الدّوال وحركيّتها من جهة؛ ويجعل منه قيمة مضافة إلى هذه الحركة من جهة أخرى. الصخرة كدال: مدلولها الصّمود ، الثّبات والقوّة، غير أنّها أسيرة السّين من الأصوات المهموسة فيه غبن وحزن ، عوقبت ، ظلمت اتبعت قضائيّا وهي من الجماد ، فهل يمكن للقارئ من خلال العنوان استشراف ما يجري فعلا داخل الرواية ، أم أنّ الأمر لا يعدو إلى جملة الاحتمالات التي يصل إليها أفق الانتظار ، فالعنوان كما يورد جيرار جينيت نقلا عن أمبرتو إيكو "مفتاح تأويلي"⁵ يعيننا على قراءة الرّسالة المضمرة فيه قبل أي شيء آخر. فإنّ البحث في تفاصيل التّسميّة يفضي بنا إلى تفكيك السّياق الأصغر (العنوان نفسه) ضمن السّياق الأكبر (نصّ الرواية) كي نستطيع أخيرا تركيب السّياقين اللّذين من شأنهما إنتاج الدّلالة الوظيفيّة التي يحملها العنوان. فصياغة عنوان رواية الصخرة الأسيرة اختزال للأحداث الكبرى التي عايشها سكان الجلفة وبطولات الكثير من أبنائها متحدّين شظف العيش؛ وتصحيح للرواية الشّفويّة (الحجرة المباشية) كما تعارف على تسميتها سكّان المنطقة وما يتعلّق بها من أساطير وخيالات نسجها العدو الفرنسي؛ ممّا يضع بطل الرواية في مساءلة هذه الأحداث ليسّي الأشياء بمسمّياتها الأصليّة. ولعلّ البطل الرّئيسي هو "الصَّخرة" فقدّمت الرواية في حلّة أدبيّة فصيحّة. مؤرّخة لتلك الحقبة.

الرواية مقارنة سيميائية: مصطلح السيميائية في أصله اللّغوي حسب صيغته الأجنبيّة Semiotics من الجذرين Semio-Tics فالجذر الأوّل الوارد في اللّاتنيّة يراد منه إشارة أو علامة أو ما يسمّى بالفرنسيّ Signe في حين الجذر الثّاني كما هو معروف علم⁶، أمّا في المعاجم العربيّة نجد لسان العرب لابن منظور يرى بأنّ مفرد السيميائي من الجذر "سوم" حيث يقول السومة والسيمة والسيميائي ، العلامة وسوم الفرس جعل عليه السّيمة⁷ ، يذهب ابن منظور في قوله إلى اعتبار السيميائي بمعنى العلامة أو الإشارة إلى الشّيء والفصل في نظريّته مسنده القرآن الكريم "سَيَأْتِي فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ الشُّجُودِ" يستنتج أنّ مصطلح السيميائي بتعريفه المعجميّ عند الغرب وعند العرب بما حملته هذه اللفظة في القرآن الكريم يأخذ نفس المعنى ويعني العلامة أو الإشارة، والحديث عن العلامة في الفكر الإنساني هو الحديث عن نظريّة المعرفة الإنسانيّة ومن خلال اللّغة تمكّن قدامى الفلاسفة من التّمييز بين دلالة الأسماء والطّبيعة التّداوليّة .

يذهب عبد الله الغدّامي وهو يتحدّث عن السيميائية " فإذا طلبناه كعلم وجدناه يحوي الألسنيّة ويتبنّاها ولكنّا إذا استعنا به كمنهج نقدي وجدناه ينحسر على نفسه شيئاً فشيئاً ليكون أخيراً واحداً من مناهج الأدب التي تركز على الألسنيّة وكأنّه لا يحتويها ولكنّها تحتويه وهذه جدليّة إيجابيّة بين العلمين تؤدّي إلى تأكيد كل واحد منهما وغرسه في الآخر وليس إلى إلغائه أو نفيه بعيداً ، والسيميائية في هذا الشأن هي ندّ نقدي يعاضد البنيويّة ويتضافر معها في مسعى استكشاف النصّ ودراسته بناءً على منطلقات الألسنيّة ومبادئها⁸، فالخطاب هو مجموعة أفعال ووقائع مرتّبة ترتيباً سببياً، نسيج تصنعه تلك الأفعال مجسّدة في عدد من الشّخصيات تختلف باختلاف أدوارها ، تنمو الأحداث وتتشابك من خلالها تتركّب رواية الصّخرة الأسيرة لتشكّل لحظات سرديّة ترفع الحكاية إلى نقاط حاسمة وأساسيّة في الخطّ الذي تتبعه الأحداث ومنها الصّندوق الذي عثر عليه جون وهو (الذات الفاعلة) وما يحتويه من مذكّرات فيقول على لسان جدّه " أنا الضّابط الفرنسي ميشال أكتب من هذا الحجر الشّمالي القديم لمدينة الجلفة ، أريد أن أدوّن من هذه اللحظة التي سأبدأ فيها العمل هنا وسأكتب عن هؤلاء البربر الذين لم أفهمهم منذ ولوجي هذه المدينة ...قدمت هنا رفقة المئات من الجنود لتعمير هذا القفر البعيد ، هي فاتحة تشكّل نقطة اتّصال بين جون كأداة فاعلة و(موضوع القيمة) المتمثل في حلّ لغز ماضي جون وسرّ وفاة والدته التي لا يعرف عنها شيئاً، فظلّ القلق يرهقه " ومنذ تلك الليلة بدأت الكوابيس تقضّ مضجع جون وتطارده وأصبح كأبله يقتفي أثر النّاس والفوضى) " ليتحقّق التّواصل " بين المرسل والمرسل إليه فأعاد ترتيب نفسه بعدما تيقّن أنّ اللّعة أصابته وانتهى الأمر .. وراح يتلذّد بالحكايات المرويّة عن أولئك البربر وقرّر أن يحفظ إرث جدّه كما ألفه أوّل مرّة الصندوق جعله يلتقي بهاجسه الزّمني ويواجه ماضيه للحظات كثيرة ، " هي الجلفة من ترسل إليّ شيطانها الأخرس يوماً بعد يوم⁹ . "

محطّة اتّصال أخرى تمثّلها مراجعة الذات الفاعلة (جون) دار النّشر ليزوّده صديقه بمعلومات عن وفاة جدّه، وما حدث لذلك الإرهابي بوشندوقة وأصحابه الأشباح ، وهو يتردّد بين رفوف المكتبة أحد الرّفوف كان بعنوان منطقة الصّحراء بين 1800-1900 تثبت أنّه بتاريخ 19 افريل 1861 أعدم بوشندوقة وأعوانه وهم في الحقيقة دفنوا أحياء لفتت انتباهه جريدة قديمة مكتوب عليها : صخرة تقتل الضّابط الفرنسي ميشال بمدينة الجلفة.

سقوط الصّخرة وقتلها لفرنسي من عمّال الحجر الشّمالي لمدينة الجلفة ، اعدامها ثمّ تخفيف الحكم عليها بمعاقبها بالأسر بالأغلال والأوتاد ، إطلاق النّار عليها حين يتزامن موعد الحادثة ، هجوم أحد المجاهدين المسّيّ بـ " بوشندوقة " وأصحابه وقتلهم مجموعة من العسكر الفرنسيّ لاذوا بالفرار لكن ذي سوني ضابط فرنسيّ تبعهم وألقى القبض عليهم فدفنوا أحياء سنة 1852 .

_ الحزب الشَّيوعي واكتشاف جون لحقيقة اتجاه مدير المغارة أندريه حين سمعه يتكلَّم عن الحركات التَّحرَّريَّة وأنَّه من الانفصاليِّين على عكس ما كان يظنُّه ، أحداث جعلت جون يكتشف سرَّ وفاة جدِّه والسَّر الدَّفين في تلك المذكَرات وجهله لماضي والدته ممَّا دفعه إلى الرَّحيل إلى الجزائر وبالضَّبْط إلى ولاية الجلفة وهي النَّتِيجة الإيجابِيَّة الَّتِي اختارها جون لينضمَّ إلى الثَّورة الجزائريَّة بكلِّ فخر واعتزاز¹⁰. وثمة أحداث فرعيَّة لا تشكِّل نقاط تحوُّل في تطوُّر الرواية وإنَّما هي وسائل تقوِّي من تأثير الأحداث وتساعد في مسارها . تنقَّل فيها السَّر من محطة اتِّصال لأخرى عبر الإسترجاع الزَّمني للذاكرة ليزول الهوس النَّفسي الَّذِي عاشه جون وتكشف عنده الحقائق الَّتِي كان يبحث عنها ، وقد اعتمد الرَّوائي الجمل الخبريَّة عن طريق السَّر والإخبار والوصف من أجل بناء أرضيَّة عامَّة للنَّمط الرَّوائي مع التَّركيز على التَّفصيل الدَّقيقة¹¹.

تقديم أو تشكيل الشَّخصيَّة الرِّئيسية في الرواية يتكوَّن تدريجيًّا كلِّما تتبعنا القراءة، فهناك عمليَّة قطع أو بتر بحيث تطلَّ جزئيَّات فاعلة في التَّشكيل نتيجة لطبيعة البناء المنفتح على الماضي والمرتبطة بسرد تراشيقي تصاعدي فتقدِّم من خلال حوار غير مسموع وهذه الحوارات تشكِّل شذرات لتشكيل طبيعة هذه الشَّخصيَّة ومن ثمَّ الانطلاق من خلالها للإصغاء والحكم على الفعل الَّذِي تدبَّر له في السَّر التَّصاعدي المتتابع.

والرَّاي عبر سرده لا ينفصل عن الشَّخصيَّة يتابع حركاتها وتوجَّهاتها وانفعالاتها فسرده وثيق الصِّلَّة بالشَّخصيَّة (جون) في زمن له وجود حيويّ يتأرجح بين الأزمنة الثلاثة الماضي ، الحاضر والمستقبل والأمر الَّذِي يستدعي هذه الأزمنة هو ذهن الشَّخصيَّة ممَّا يوجد تداخلا بين الحدث النَّامي بشكل تراشيقي، والحدث الماضي الَّذِي يعبر عن خلفيَّة مؤثِّرة والحدث القادم ، الَّذِي يتمَّ الإعداد له (المشاركة في الثَّورة التَّحريريَّة) ولا ينفصل عن الحدثين السَّابقيين¹².

اللُّغة : استعمل المؤلِّف لغة سرديَّة بسيطة بعيدة عن اللُّغة الشَّعريَّة فكانت فاعلة في تحريك مجمل الشَّخصيات ضمن ديناميَّة روائيَّة متماسكة ، فاللُّغة بؤرة من بؤر النَّص وليست خادمة له فقط فعلى الرَّوائي أن يتفنَّن في استخدامها من أجل تسليط الضَّوء على الأجزاء المتحرَّكة والأشياء الماديَّة وتقديمها في صور إيحائيَّة معبَّرة وفي الرواية جاءت لغة سرديَّة أخاذة تتميز بدقَّة حاذقة في الوصف وفي متابعة جزئيَّات الحالة مع توسُّع في إمساك العلاقة الإنسانيَّة بأدقَّ جزئيَّاتها كقوله: "وبعد مرور وقت طويل على موت عمِّته كلارا حزم جون حقائبه فلقد قرَّر أخيرا الرَّحيل إلى الجزائر.. وطلب إجازة من ذلك الكهف الخيالي (مكان عمله هناك) ولم يفته توديع أصدقائه هناك ...الغزلان والبيزون ، وليكون وكلَّ الحيوانات البرتقاليَّة ، كان يمرر يديه على كلِّ الصَّخور ببطء شديد وكأنَّه يقول: هي الوحيدة الَّتِي لم تخيَّ في هذا الوطن¹³ ، لغة

فصحى قصد تحقيق الصّدق الواقعيّ وحتىّ تظهر الشّخصيّة في درجة وعيها وتفكيرها بالصّورة نفسها التي تظهر عليها في حياتها اليوميّة .

وبقدر نجاح الكاتب في التّعامل مع اللّغة بقدر قدرته على فهم شخصيته ووعيها وثقافتها ، لغة الحياة اليوميّة تحمل أدقّ ما تنبض به قلوب الشّخصيات من عواطف وانفعالات وتوحي بدلالات عبر شفراتها كأن يقول جون لوصف ما كان يعانيه جرّاء تزيف جدّه للتاريخ: "ما أقبح هذا الوطن الذي قضى على إنسانيّتي وعوّضني بدلا عنه ماضيا مشرّفا"¹⁴ هكذا بدأ جون كتابة مذكراته كي يصحّح ما كتبه جدّه قديما .

فالكاتب يهدف إلى تصوير الواقع أمّا الواقعيّة المنشودة ليست واقعيّة اللّغة بقدر ما هي واقعيّة التفكير .

الخاتمة:

من جملة النّتائج التي توصلت إليها بعد هاته الدّراسة :

تعدّ السيميائيّة من أبرز المناهج حضورا في الممارسات النّقديّة ، وذلك لأنّ النّص في التّصوّر السيميائيّ مفتوح وغير مكثّف بذاته ويستمدّ معانيه من الإيماءات التّأويليّة .

السيميائيّة لم تنظر إلى النّص الأدبيّ على أنّه مدوّنة خاضعة لمصاف مقارنة معرفيّة واحدة فحسب؛ بل على أنّه يمكن أن يكون تجليّا لكلّ ما ينتمي إلى معارف التّجربة الإنسانيّة العامّة فهو نسيج من العلامات المتبلورة في ضوء طبيعة علاقة الإنسان مع عالمه الخارجي .

يمثّل العنوان القلب النّابض لحركة النّص ويستدعي عدّة تساؤلات وينفتح على عدد من القراءات لغناه بالدّلالات والإيحاءات فمن شأنه أن يسوق القارئ لتلقّي الأحداث ويفتح آفاق التّأويل بغية استحداث فعل القراءة وإعادة إحياء النّص من جديد.

العناوين إبداع فنيّ له القدرة على استفزاز المتلقّي فعلى الرّوائي أن يوفّق في اختيار العنوان المناسب لمضمون الرواية .

يعتبر علم العنونة علما دقيقا له منهجه وضوابطه وآلياته وأدواته الإجرائيّة التي تسمح بمقارنته علميا التّقابل بين التّاريخ والرواية ليس تقابل نفي وإنّما هو تقابل إيجاب .فيه من تخيل التّاريخ بقدر ما فيه من كتابة الحقيقة القابلة للاختيار .

مشاعر الاستدمار الفرنسيّ وتشكيه بالأهالي واستعماله مختلف أساليب الحرق والإبادة الجماعيّة .

هذا المكان تسكنه الشّياطين والأشباح واللّعنة من كثرة القتل وسفك دماء الأبرياء .

الرواية تأريخ للثّورة في منطقة الجلفة وتصحيح لرواية الشّفاروة التي تتحدّث عن الحجرة المباشيّة .

استطاع عنوان " الصّخرة الأسيرة أن يرسّخ عبر مؤداه أنه علامة سيميائيّة تختزل نص الرواية.

الارتباط الجدلي ما بين التّاريخ والأدب ، ويمكن للأدب أن يؤرّخ للتّاريخ أحسن من التّاريخ نفسه.

الهوامش:

- ¹ عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السّردى معالجة تفكيكية سيميائية رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ ، ديوان المطبوعات ص8
- ² عبد الله الغدّامي ، الخطيئة والتّكفير ، من البنيوية إلى التّشريحية ، ط6 2006 المركز الثقافى العربى الدّار البيضاء المغرب .
- ³ محمّد القاضي ، الرّواية والتّاريخ ، بحث في مستويات الخطاب في الرّواية التّاريخية العربيّة ط1 2006 |الأردن ص109
- ⁴ المصطفى مويقن ، تشكّلات المكوّنات الرّوائية ط1 ، 2001 دار الحوار اللاذقية سوريا ص34
- ⁵ حسين خمري ، نظرية النّص من بنية المعنى إلى سيميائية الدّال ، الدّار العربيّة للعلوم (ناشرون) منشورات الإختلاف الجزائر العاصمة ط1 ص207
- ⁶ الجّزّار محمّد الفكري : العنوان وسيموطيقا الإتّصال الأدبيّ ص 76
- ⁷ ابن منظور ، محمّد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدّين ، معجم لسان العرب مادّة : سوم ، ج7 . ط 4 ، دار صادر بيروت 2005 ص308
- ⁸ عبد الله الغدّامي ، مرجع سابق ص125
- ⁹ الرّواية : ص 67 – 68 – 69
- ¹⁰ الرّواية ص 118
- ¹¹ محمّد العيد تاورنة ، تقنيّات اللّغة في مجال الرّواية الأدبيّة (مجلة العلوم الإنسانيّة جامعة منتوري قسنطينة العدد21 جوان 2004)
- ¹² عادل ضرغام ، في السّرد الرّوائى ص76 (الدّار العربيّة للعلوم ناشرون) بيروت
- ¹³ يقطين سعيد ، الرّواية والتّراث السّردى ، المركز الثقافى العربى ، الدّار البيضاء ط1 ، 1992 ص78
- ¹⁴ الرّواية ص114

المصادر والمراجع:

1. عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السّردى معالجة تفكيكية سيميائية رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ ، ديوان المطبوعات
2. محمّد العيد تاورنة ، تقنيّات اللّغة في مجال الرّواية الأدبيّة (مجلة العلوم الإنسانيّة جامعة منتوري قسنطينة العدد21 جوان 2004)
3. عادل ضرغام ، في السّرد الرّوائى (الدّار العربيّة للعلوم ناشرون) بيروت
4. يقطين سعيد ، الرّواية والتّراث السّردى ، المركز الثقافى العربى ، الدّار البيضاء ط1 ، 1992
5. عبد الله الغدّامي ، الخطيئة والتّكفير ، من البنيوية إلى التّشريحية ، ط6 2006 المركز الثقافى العربى الدّار البيضاء المغرب .
6. محمّد القاضي ، الرّواية والتّاريخ ، بحث في مستويات الخطاب في الرّواية التّاريخية العربيّة ط1 2006 |الأردن ص109
7. المصطفى مويقن ، تشكّلات المكوّنات الرّوائية ط1 ، 2001 دار الحوار اللاذقية سوريا
8. حسين خمري ، نظرية النّص من بنية المعنى إلى سيميائية الدّال ، الدّار العربيّة للعلوم (ناشرون) منشورات الإختلاف الجزائر العاصمة ط1 .
9. الجّزّار محمّد الفكري : العنوان وسيموطيقا الإتّصال الأدبيّ .
10. ابن منظور ، محمّد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدّين ، معجم لسان العرب مادّة : سوم ، ج7 . ط 4 ، دار صادر بيروت 2005